

المهم لنا شماتة ..

للدكتور حامد طاهر

مضت فترة طويلة

خلال عهدي السادات ومبارك

استغلها عدد لا بأس به

من المصريين والمصريين

وخاصة من ذوي الدخول المرتفعة

ومنهم فنانات مشهورات

بالسفر قبل موعد الولادة

بأسبوعين أو ثلاثة

إلى الولايات المتحدة الأمريكية

حتى يحصل أبناؤهم وبناتهم

على الجنسية الأمريكية

بالإضافة طبعاً إلى الجنسية المصرية !

وكنت من جانبي أتابع هذا المشهد ،

وأنا حزين

لأنه ببساطة يتناقض

مع روح الانتماء

التي رضعناها منذ الصغر

من قول الزعيم مصطفى كامل :

(لو لم أكن مصرياً ..

لوددت أن أكون مصرياً) ،

وقول أمير الشعراء أحمد شوقي :

(وطنى ..

لو شغلت بالخلد عنه

نازعتنى إليه فى الخلد نفسى)

كان هذا بعض ما تعلمناه فى المصغر

وانحفر على صفحات قلوبنا

وصار جزءاً لا يتجزأ من مصريتنا

— حماها الله —

واليوم

أنا لا أدري تماما

ما هو شعور هؤلاء الآباء والأمهات

الذين حصلوا لفلاذات أكبادهم

على الجنسية الأمريكية

وحسبوا أنهم قد استندوا

إلى ركن ركين

ولما سيما بعد توجهات الرئيس الأمريكي ترامب

برفع شعار (أمريكا للأمريكيين)

وهذا يعنى بالضرورة

أن أولئك المتجنسين

سيكونون في المرتبة الثانية أو الثالثة ..

بل وقد تنزع منهم — متى شأنت أمريكا —

جنسيتهم المأخوذة عن طريق الولادة !

ليس الوقت وقت شماتة ،

ولما الحديث للتشفى ،

وإنما هو أوان الاعتراف

الاعتراف بأهمية الجنسية المصرية

ووضعها في القلب

وعدم مشاركتها مع أى جنسية أجنبية

مهما كانت قيمة ومكانة البلد التي تمنحها .

إن حب الوطن من الإيمان

وهذا يعنى أن عدم حبه .. من المكفر !

والشجرة التى تنبت فى الغابة

لنا يسعدها أبداً أن تنتقل إلى مكان آخر

حتى لو كان أفخم ميدان فى المدينة ..

كذلك فإن جذور الإنسان

هى التى تمتد وتلتف من تحت الأرض

وتتماسك مع الأهل ، والأقارب ،

وأصدقاء الطفولة ، وبنت الجيران ..

ومهما سافر الإنسان

إلى أجمل وأبعد بلاد العالم

سيظل مرتبطا بهذه الجذور!

وقد كان لنا صديق

من مزدوجي الجنسية

يحمل معه دائما جوازى سفر

أحدهما مصرى ، والآخر أمريكى

وكان يطلعنا عليهما بقدر لنا يخلو من الزهو

وذات يوم قال لنا :

إننى حين أجد زحاما

فى مطار القاهرة

أستخدم الجواز الأمريكى

فأعبر بسرعة ، وأتجنب الوقوف

فى المطابور

وأنا أسأله الآن :

وماذا يعنى وقوفك فى المطابور

لمدة نصف ساعة

وسط أهلك من أبناء مصر

وتشعر قليلا بمعاناتهم

ثم تشاركهم بعد ذلك فرحتهم

حين يخرجون للقاء أهلهم وأحبابهم

فرحين ، وسعداء ؟!

بل إننى أقول له الآن :

وماذا ستفعل اليوم وغدا

حين يحتجزونك بالساعات

فى كل مطارات العالم ، ويستجوبونك

عن اسمك ، ودينك ، وعلاقتك بالإرهاب

ثم يقولون لك :

أنت غير مرحب بك

فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟!
